



معرف الكائن الرقمي للمقال: (DOI)10.54239/2319-023-002-012

العمارة الريفية الأوراسية - قرية العامرة أنموذجا - Aurasian rural architecture -El Amra village as an example-

ط.د/ خديجة قشيرة *

جامعة عبد الحميد مهري- قسنطينة 2 (الجزائر)، مخبر "تاريخ، تراث ومجتمع (HIPASO)"

khadidja.kechira@univ-constantine2.dz

تاريخ القبول: 2024/11/09

تاريخ المراجعة: 2024/07/22

تاريخ الإرسال: 2024/07/07

الملخص:

تُعتبر العمارة الريفية بقرية العامرة الواقعة ببلدية ششار التابعة لولاية خنشلة، أحد أشكال العمارة الريفية بقرى الأوراس الشرقي، والتي لم تُدرس من قبل، وتميزت هذه القرية بطابع عمراني بسيط، يتناسب مع المحيط الطبيعي من حيث اللون ومواد البناء، ما جسّد لنا هوية وثقافة هذه الشعوب التي أتقنت البناء، على الرغم من مستواهم المعيشي البسيط تحت ظروف طبيعية قاسية.

نهدف من خلال هذه الورقة البحثية إلى تقديم دراسة أثرية معمارية لقرية العامرة، بإبراز تقسيمات نسيجها العمراني، والتعرف على أهم منشآتها التي برع أهلها في تخطيطها. كما نهدف إلى تقديم وصفا تحليليا، وإثرائه بمجموعة من الصور والمخططات الخاصة بكل المعالم المكونة للقرية.

وتوصلنا من خلال بحثنا إلى جملة من النتائج، أهمها ارتباط نشأة قرية العامرة بعوامل دينية، إجتماعية وإقتصادية؛ أما بالنسبة لتكوين النسيج العمراني للقرية، فقد جاء ملائما لتخطيط المدينة الإسلامية، باختيار سكان القرية لمُجمل شروط موقع عمرانها؛ تميّز قرية العامرة بطبوغرافية وعرة لوقوعها في الكتلة الأوراسية المتضرّسة، قد أكسبها موقعا استراتيجيا ذو حصانة طبيعية.

* ط.د/ خديجة قشيرة / الجزائر



الكلمات المفتاحية: الأوراس الشرقي؛ العمارة الريفية؛ قرية العامرة؛ ششار؛ نسيج عمراني؛ مواد البناء؛ تخطيط.

Abstract:

The article rural architecture of the village of El Amra, located in the municipality of Chechar, affiliated with the state of Khenchela, is considered one of the forms of rural architecture in the villages of the oriental Aures, which has not been studied before. This village was characterized by a simple urban character, commensurate with the natural environment in terms of color and building materials, which reflected the identity and culture of these peoples who mastered construction, despite their simple standard of living under harsh natural conditions.

Through this research paper, we aim to present an archaeological and architectural study of the village of El Amra, by highlighting the divisions of its urban fabric, and identifying its most important facilities, which its people excelled in planning. We also aim to provide an analytical description, and enrich it with a set of pictures and plans for all the landmarks that make up the village.

Through our research, we reached a number of results, the most important of which is the connection between the emergence of the village of El Amra and religious, social and economic factors. As for the composition of the urban fabric of the village, it was appropriate for the planning of the Islamic city, with the village residents choosing the overall conditions of its urban location. The village of El Amra is distinguished by its rugged topography due to its location in the rugged Eurasian massif, which gave it a strategic location with natural immunity.

Keywords: The oriental Aures; Rural architecture; El Amra village; Chechar; Urban fabric; Building materials; Planning.

- مقدمة:

تُعتبر التجمعات الريفية من أكثر الأنماط شيوعاً في المناطق البربرية، وعلى الرغم من عديد الدراسات التي مسّت هذا النوع من العمران، فقد عرفت نوعاً من الغموض حول طريقة التصميم الأوراسي، لاختلاف عمارة كل منطقة عن أخرى، من حيث تخطيط وتقسيم معالم ومنشآت القرى الريفية رغم بساطة طابعها.

لذلك ارتأينا دراسة العمارة الريفية بقرية العامرة، التي تُعدّ أحد نماذج العمارة الأوراسية، إذ تعتبر نتاج التعبير الفكري للمجتمعات الأوراسية، الذي جمع بين الجانبين الاجتماعي والاقتصادي، متخذاً بعين الاعتبار القيم والمعايير الدينية، مع مراعاة الظروف والعوامل التي فرضتها الطبيعة، أين برع أهلها في التكيف معها. ويتّسم النسيج العمراني لهذه القرية بالبساطة، لخلوّه من الزخارف والتعقيدات، ما أعطى ميزات أثرية معمارية خاصة بها.

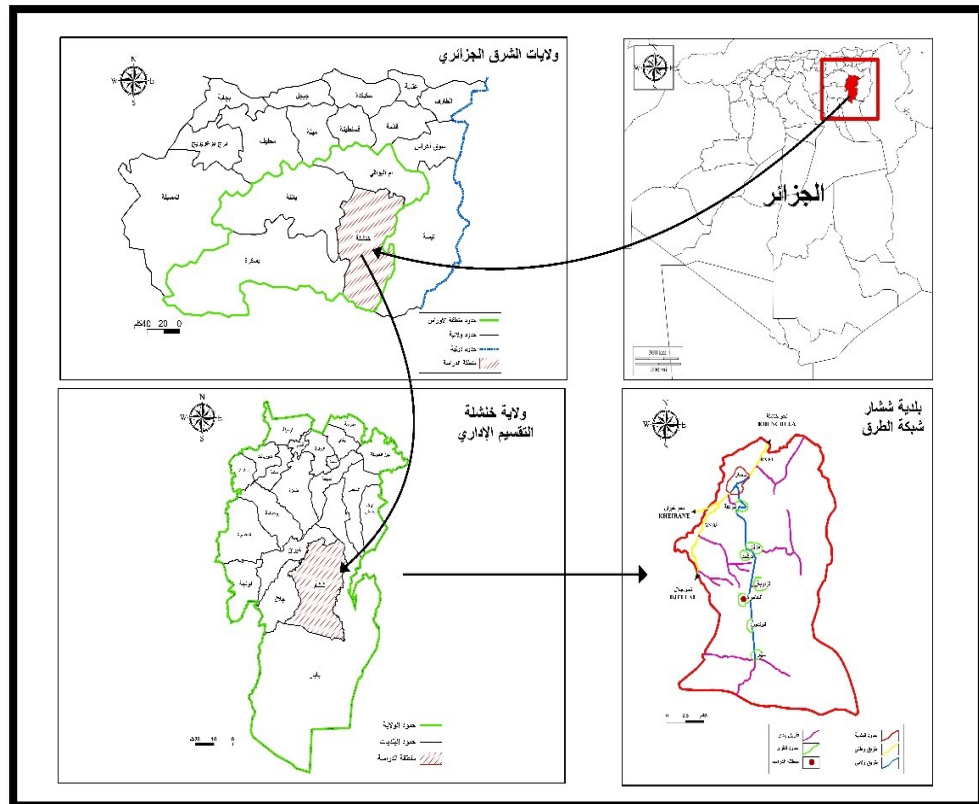
تطرقت معظم الدراسات التي مسّت منطقة جبل ششار على العموم، إلى الجانب السوسيوولوجي للريف الأوراسي بكثرة، دون الاهتمام بعمارة القرى الأوراسية وما تبلّغه من أهمية، واعتمدنا في دراستنا على مقال مونوغرافي للمستكشف الفرنسي إيميل ماسكوراوي الذي عاش بالمنطقة أواخر القرن 18، تحت عنوان "Le djebel chechar" المنشور بالعدد 22 للمجلة الإفريقية سنة 1878م، بحيث يُعتبر المرجع الأساسي لتاريخ قرى جبل ششار، وعرش بني بربار الذي تنتمي إليه قرية العامرة على وجه الخصوص.

يتمحور موضوع دراستنا حول التعرف على طبيعة الخصائص المعمارية والعمرانية لقرية العامرة، ومنه استخلاص خصوصية التأثيرات الطبيعية والاجتماعية المجسّدة عليها.

1- الإطار الجغرافي:

تقع قرية العامرة (El Amra) في الكتلة الشرقية الأوراسية، على بعد حوالي 70 كلم من مدينة خنشلة (Morizot pierre, 1988: 33)، بالتحديد جنوب بلدية ششار التابعة إدارياً لولاية خنشلة. يرتفع نسيجها العمراني على الضفة اليمنى لواد بَجَر (Bedjer) (Morizot pierre, 1997: 244)، بمساحة تقدّر بحوالي 40 هكتار حسب نتائج SAS

Planet (أنظر التعليق رقم: 01)، مسلكها متصل بالطريق الولائي رقم 08 نحو قرية سيّار (Siar) جنوبًا باتجاه الصحراء.



لوحة رقم 1: الموقع الإداري لقرية العامرة

المصدر: الباحثة

2- الإطار التاريخي:

وجدنا من خلال الأبحاث التي قمنا بها والمراجع التي اعتمدنا عليها في هذا المقال، أن تاريخ المنطقة يُحدّد من خلال تاريخ الكتلة الأوراسية ككلّ وجبل ششار بالأخصّ، لذلك ارتأينا وضع لمحة تاريخية حول منطقة ششار، مع تحديد أصل سكان قبائل العرش الذي تنتمي إليه قرية العامرة الأثرية.

2-1- تاريخ منطقة ششار:

أثناء الفترة الرومانية عرفت منطقة ششار سلامًا عامًا باستقرار المستعمرين الزومان مع السكان الأصليين تحت وصاية القوانين الثابتة: (Masqueray émile, 1878)



(41)، وفي نهاية القرن الثاني صُنّف سكان واد بَجَر إلى جيتول (أنظر التعليق رقم 02) ورومان (Morizot pierre, 1988: 74).

بعدما هجر الرومان واد بَجَر خاصة وأنهم قد كانوا يتحكمون في زمام الأمور، وصلت القرى إلى مرحلة الانحطاط التي عانت منها كل قبائل جبل ششار، ومع اختفاء كل نشاطات الرومان أصبحت المنطقة مهددة بموجات الجفاف المروعة أين لجأ سكانها إلى تربية الماشية فأصبح البربر "شاويّا" (Masqueray émile, 1878: 131).

في العصر الوسيط، كانت قبائل جبل ششار تحت سيطرة الملوك الحفصيين بتونس، ثم تحرّروا منهم ليصبحوا جزءًا من نُخبة الشّابيّة (أنظر التعليق رقم: 03) الذين كانوا سادة هضبة التّمامشة وجبل ششار (Masqueray émile, 1878: 134)، حيث تشكّلت هذه النُخبة بفضل "سي محمد بن عبد اللطيف" وبمساعدة ابنه "سي مسعود الشابي" مؤسس زاوية ششار (Depont octave & Coppolani xavier, 1897: 482)، التي كانت تسمى سابقا "تنوزا" حيث تضمنت مسجدا يحمل اسمها (Colonel De Lartigue, 1904: 361) مؤسسه مرابط يُدعى "عبد الصّمد"، إذ يُعتبر أحد أقدم أسلاف الشّابيّة بواد بَجَر (Masqueray émile, 1878: 134).

خلال الفترة العثمانية كان الأتراك يرصدون ذهاب وإياب البدو، لكن الأوراسيين قد تمتعوا باستقلال شبه تام خلال الفترة العثمانية، وفي هذا الباب بايسونال (Peyssonnel) أكّد ذلك بعد دخوله الأوراس في 27 جوان 1724 م (حجاري درية، 2017: 32-33). ثم انتشرت النزاعات وتشكّلت العداوة بين قبائل الأعراس خاصة من أجل المراعي (Masqueray émile, 1878: 132)، واستمرّت حالة الفوضى هذه إلى غاية فترة الاستعمار الفرنسي.

2-2- عرش بني بربار:

تنتمي قرية العامرة إلى واد بَجَر الذي تقطنه قبائل عرش بني بربار، وهو اسم بربري منسوب إلى سكّان جبال الأطلس الأوسط والأطلس الشرقي الكبير ويُطلق على سكان جبل ششار (Gsell stéphane, 1927: 114)، الذين يُعتبرون من القبائل الريفية الأوراسية المستقرة. ويضمّ هذا العرش أكثر من 15 قبيلة تتوزّع على طول واد بَجَر الذي يمتد بداية من شمال شرق منطقة تبردقة (Taberdga) وصولًا إلى جنوب غرب قرية



سيّار (Siar) باسم "واد واژرن" (زوزو عبد الحميد، 2005: 44).

أصل عرش بني بربار زناتيّ من جنود الكاهنة (Masqueray émile, 1878: 266)، وهم أحد بطون ماذغيس (ابن خلدون عبد الرحمان، 1959: 03)، الذين اختلطوا مع قبائل الأوزية جنود كسيلة من عرق البرانس (Masqueray émile, 1878: 266)، ويرى الباحث إيميل ماسكوراي أن أصل هذا العرش زناتيّ مختلط مع الرّومان؛ وهذا ما ذهب إليه موريزو الذي ذكر أن قلعة كونترو الرّومانية الواقعة غرب واد بجّر قد لجأ إليها آخر عرق رومانيّ تزامناً مع الفتوحات الإسلامية لبلاد المغرب (Morizot pierre, 1990: 1111)، وهنا اختلطوا مع السّكان الأصليّين. بينما يرى الكولونال دو لارتيق أن قبائل هذا العرش من عرق بربري مختلطين مع العرب الهلاليّة (Colonel De Lartigue, 1904: 358-359)، ولعل هذا الرأي صحيح كوّن سكان قرى واد بجّر كِبَارًا وصَغَارًا يتحدثون اللغة العربية والشاوية، كما أن هذا الرأي لا ينفي ما ذهب إليه ماسكوراي، وقد يكون عرش بني بربار قد اختلطوا مع الرّومان في القرن 7م، ثم اختلطوا لاحقاً بالعرب الهلاليّة التي غزت بلاد المغرب في القرن الحادي عشر للميلاد (بختاوي قاسمي، 2015: 53).

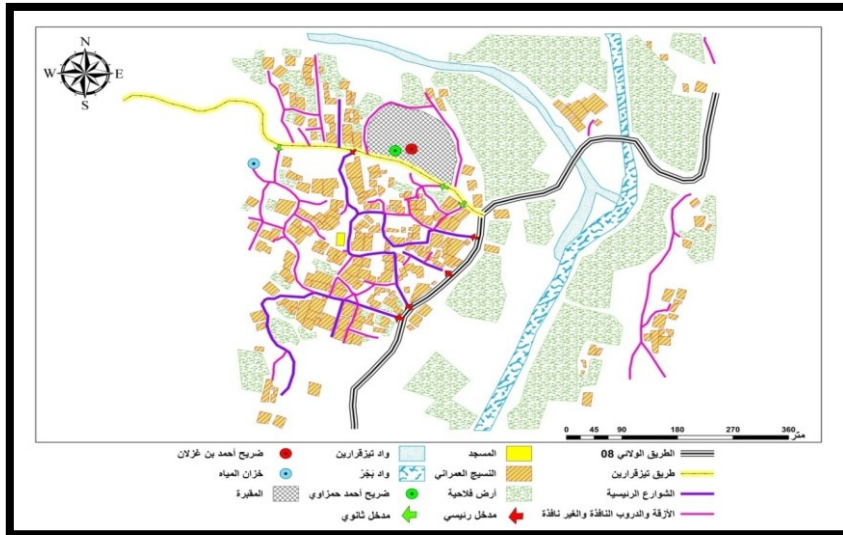
3- النسيج العمراني وتوزيع الفضاءات بقرية العامرة:

تُعتبر قرية العامرة واحدة من القرى المُستندة إلى الجبال بدافع توفير الأمن (زوزو عبد الحميد، 2005: 399) من جهة، ولما هو متفق عليه من اعتدال درجة حرارة المناطق المرتفعة من جهة أخرى، بحيث تكون مساكنها من الداخل باردة صيفا ودافئة شتاءً، والتي غالبا ما تكون بسيطة ومبنية بالحجارة المحلية وتتألف من طابق واحد (زوزو عبد الحميد، 2005: 399).



صورة رقم 01: قرية العامرة

المصدر: الباحثة



مخطط رقم 01: المخطط العام لقرية العامرة

المصدر: الباحثة

وتتمثل فضاءات نسيجها العمراني في مجموعة معالم وأبنية تتوزع كالتالي:

3-1-المسجد:

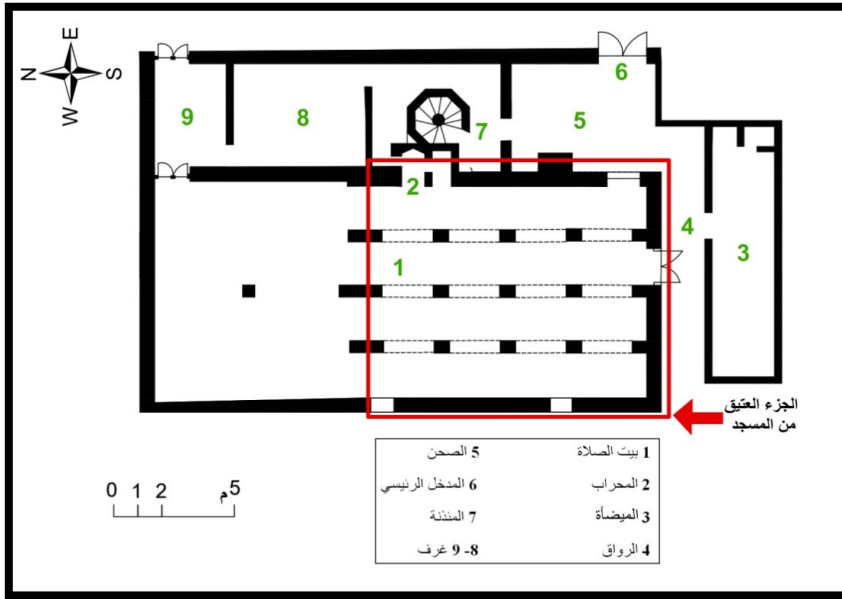
3-1-1-التاريخ والموقع:

يُطلق عليه اسم "المسجد العتيق" وهو يقع بقلب القرية (أنظر مخطط رقم 01) ويُعتبر من أهم المعالم المشكلة لها، بحيث كل الشوارع والمنافذ تصل إليه، وفضلا عن

وظيفته الدينية، يعمل كذلك على تأطير القرية تربوياً. بالنسبة لتاريخ تأسيسه فلم نعثر على أي لوحة تذكارية التي من المفترض أن تحمل تاريخ إنشائه، ممّا شكّل لنا صعوبة في تحديد الفترة التي ينتمي إليها خاصّة وأنه مُستحدث ومُجدّد بنسبة 90% ولا يزال مُحافظاً في هندسته المعمارية سوى على دعامات وأقواس بيت الصلاة.

2-1-3- الوصف الخارجي:

يتخذ المسجد في تصميمه شكلاً مستطيلاً الذي يشغل مساحة تبلغ مقاساتها (31م x 15.32م)، وهو ذو طابق واحد يحتوي على أربع جوانب. مسّته عديد التجديدات بمواد بناء حديثة ما أدى إلى طمس العناصر المكوّنة لمخطّطه الأصلي، فقد أصبح يحتوي على صحن ومئذنة مع ميضأة مستقلة عن هيكله العام (أنظر مخطط رقم 02). شُيّدت جدران الجزء العتيق من المسجد بحجارة مكسوّة بملاط طيني (جابر عماد، 2023) بسمك يتراوح ما بين 50-60 سم، ولم يبقَ محافظاً سوى على دعامات بيت الصلاة التي تعلوها عقود نصف دائرية الشكل، كما واستُعمل في تغطيته السقف المُسطّح على ارتفاع قدره 2.80 م.



مخطط رقم 02: مخطط المسجد العتيق

المصدر: الباحثة

3-1-3 الوصف الداخلي:

يُعتبر بيت الصلاة من الأقسام الرئيسية والمهمّة في المسجد، فيأخذ شكلاً مستطيل المسقط أبعاده (20.46م x 9.18م) وقد تعرض هذا الأخير إلى تجديد وتوسعة بالجهة الشمالية من بيت الصلاة، بعدما كانت أبعاده الأصلية (12.9م x 9.12م) والتي تُمثل الجزء العتيق من المسجد كما هو موضح بالمخطط رقم 4، يتم الولوج إليه عن طريق باب فُتح في ضلعه الجنوبي ارتفاعه حوالي 2م وعرضه 1.5م له دفتين خشبيتين يعلوهما عتب مستقيم من الخشب.



لوحة رقم 02: أقسام مسجد العامرة العتيق

المصدر: الباحثة

يتكون بيت الصلاة في شكله الحالي من أربع بلاطات وأربعة أساكيب، كما يوجد بالقاعة دعائم عددها 15 دعامة رباعية البدن يتراوح سُمكها ما بين 55 و65 سم حيث تعلوها عقود نصف دائرية مُتناوبة، إضافة إلى دعامة أخرى رباعية البدن سُمكها حوالي 40 سم متواجدة في التوسعة الجديدة للمسجد بالناحية الشمالية لبيت الصلاة. يتوسط جدار القبلة محراب عرضه حوالي 85 سم، ذو جنية نصف دائرية المسقط

عمقها حوالي 45 سم، نجد على يساره باب لمقصورة الإمام وعلى يمينه جزء مخصص للمنبر الخشبي المتكون من أربع درجات وهو حديث الصنع.

2-3- الساحة العامة:

تُعرف بين السكان المحليين باسم "طِيَّة بوكراع"، والتي تقع على بعد حوالي 13 م من الجانب الشرقي للمسجد (أنظر صورة رقم: 02)، تُعتبر أهم جزء بالقرية كونها توحد الحركية اليومية لأعيان القرية بمختلف نشاطاتهم التجارية، حيث روعي في اختيار موقعها أن تكون بمجال عام ذات طُرُق نافذة وبعيدة عن المساكن لعدم إزعاج الجيرة وحفاظا على خصوصية النساء، كما يجتمع بها شيوخ عرش بني بربار لتنظيم أحوال القرى وفض النزاعات القبلية وما إلى ذلك من الأمور الاجتماعية السياسية، وتُستغل أيضا هذه الساحة لإقامة المآتم وإحياء حفلات الأعراس نظرا لاتساعها.

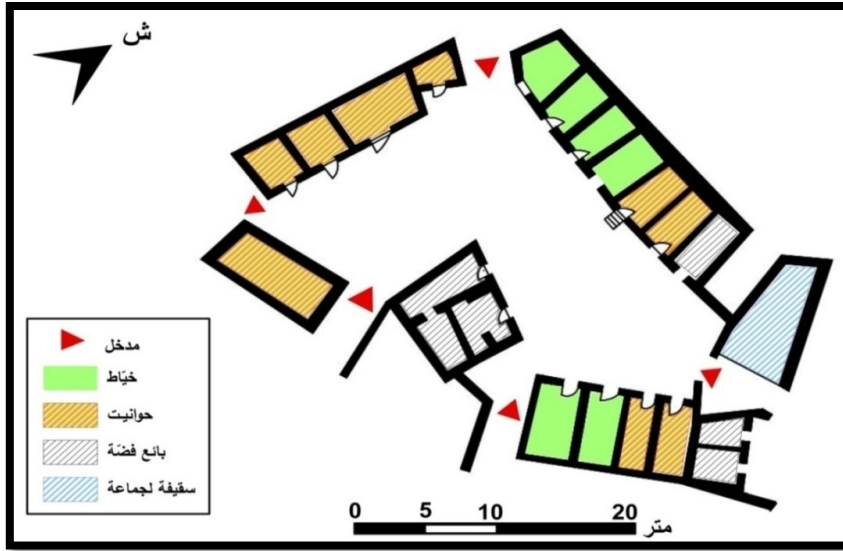
يأخذ هذا المجال العمراني شكل حرف "L" على مساحة قدرها 273.33 م²، ويتم الولوج إليها عن طريق خمس مداخل متصلة بخمسة شوارع رئيسية، واحد منها شمالي، والثاني شرقي والثالث غربي والرابع والخامس جنوبيين أحدهما يتصل مباشرة بالطريق الولائي رقم 08.



صورة رقم 02: الساحة العامة للقرية

المصدر: الباحثة

تحتوي هذه السّاحة على 21 حانوت في حالة حفظ سيئة نظرا لتهدم جدران وسقوف البعض منها، أما حوانيت الجهة الشمالية فتتميز بحالة حفظ متوسطة بسبب الترميمات والتجديدات التي مستها، حيث نجد بهذا المجال العمراني ما هو مخصص لحرفيّ الجِداة؛ بيع الأقمشة والخياطة (للرجال: قندورة الصوف، القشابية والسروال الحوكي، وللنساء: تالامث أو الملحفة...); بيع مواد غذائية (كاللبن والدقيق والسكر); صناعة الفضة وبيع حلّيا (كالمشابك، الأحزمة، الأقراط والجُبين الذي يوضع على رأس المرأة الأوراسية); بيع مواد الزينة المصنوعة محلياً (كالصابون، الكحل، الحناء...). كما تضمنت هذه الساحة "سقيفة لجماعة" التي تقع بمدخلها الشرقي، وهي غرفة التاجماعت التي تُعتبر بمثابة دار القضاء، أين يجتمع فيها شيوخ قرى عرش بني بربار للتشاور في الأمور الاقتصادية، الاجتماعية والسياسية وحل الخلافات بين القبائل والمدامر.

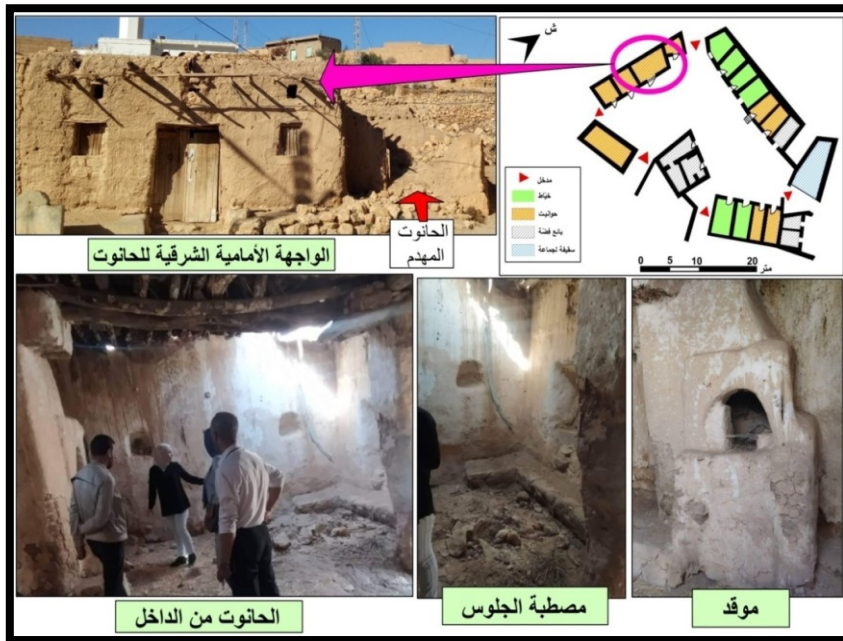


مخطط رقم 03: مخطط الساحة العامة

المصدر: الباحثة

شُيّد هذا المجال العمراني بالحجارة وسُقّف ودُعِمَ بخشب العرعار ما عدا حانوتان يقعان بيسار المدخل الشمالي للساحة (أنظر لوحة رقم 03)، الأول لم يبقَ منه سوى جزئين من جداريه الغربي والجنوبي، أما الحانوت الثاني فلا تزال أجزاؤه قائمة وهو

معروف "بالمقهى" ويشغل مساحة مستطيلة المسقط تُقدر بحوالي 18.23 م²، فتحت بواجهته الرئيسية الشرقية نافذتين وتعلو كل واحدة فتحة صغيرة وباب عرضه 1م وارتفاعه 1.90م. استُعمل في تشييده تقنية الطابية حيث شُيّدت جدرانها بالطوب اللين (أنظر التعليق رقم 04) في قوالب أبعادها (17سم x 11سم) تكسوها طبقة من الملاط الطيني. كست جدرانها من الداخل طبقة جيرية حديثة، يوجد بالجدار الغربي موقد مستحدث وبأقصى يساره باب مسدود بالحجارة، كما توجد كوتين بالجدار الشمالي والذي جمعت بينه وبين الجدار الشرقي مصطبة حجرية للجلوس، إضافة إلى وجود دعامتين من الطوب سمكهما حوالي 64سم يكسوهما الملاط الطيني وطبقة جيرية، واحدة بالجدار الشرقي والأخرى بالغربي يسار الموقد.



لوحة رقم 03: موقع الحانوت وشكله الداخلي

المصدر: الباحثة

3-3- المساكن (التأدارت):

تتوزع مساكن القرية على الأرضية الصخرية لهضبة المنطقة ما نتج عن ذلك بيوت مبنية بشكل عشوائي وغير منتظم نظراً لطبيعة الموقع وما يفرضه من ظروف وعوامل أهمها العامل الطبوغرافي، تميزت كل دشرة بالتحام مساكنها مُشكلة في ذلك سوراً منيعاً،

وعموما ما تأخذ هذه الأبنية شكلا مستطيلا بواجهة بسيطة خالية من الزخارف والنوافذ الخارجية، تتكون من طابق واحد له حَوْش تحيط به غرف وسقيفة تكون بالجهة القبليّة الشرقية للتادارت. وبعد دراستنا لقرية العامرة وجدنا أن كل مساكنها قد احتوت على نفس التصميم الهندسي لمسكن عبد الحفيظ غقاقلية، الذي كان أفضل نموذج للدراسة، وهذا يرجع لحفاظه على البعض من أجزائه التقليدية عكس المساكن الأخرى، التي معظمها قد مسّتها التجديدات ومنها التي تهدمت ثم اندثرت.

3-3-1- مسكن دشرة غقاقلية من قبيلة أولاد سي علي:

يقع المسكن بالجانب الشرقي للقرية تحديداً أسفل المسجد بشارعين، بالجانب الشمالي لدار القضاء المعروفة لدى أعيان القرية بـ "سقيفة لجماعة" الواقعة بأحد مداخل الساحة العامة، يتم الولوج إليه انطلاقاً من الطريق الولائي 08 عبر شارع رئيسي عرضه حوالي 7م، وتعود ملكية المسكن لورثة عبد الحفيظ غقاقلية (Ghegagelia).

3-3-2- الوصف الخارجي:

يشغل المسكن مساحة قدرها 139م² ويتخذ شكلاً مستطيلاً غير منتظم، يتميز من الخارج بالبساطة لخلوّه من الزخارف والنوافذ ماعدا جرتين من الفخار (أنظر لوحة رقم 04) أدمجتا بجانب المدخل الرئيسي الذي عرضه 1م يعلوه عقد نصف دائري من الحجارة.

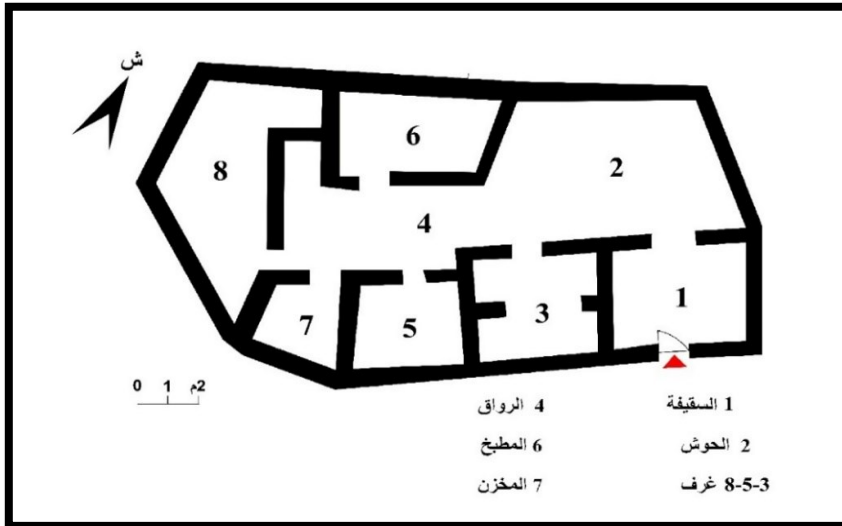


لوحة رقم 04: الواجهة الأمامية للمسكن، المصدر: الباحثة.

يتكوّن هذا المسكن من طابق واحد قد بُنيت أساساته من الحجارة كما استُعملت في بنائه تقنية المزج (حملوي علي، 2006: 302)، حيث استُعملت فيها حجارة غير منتظمة الشكل بمقاسات مختلفة، أين انتقاها المعماري الأوراسي حسب المكان المناسب لها. أمّا بالنسبة إلى نمط تسقيفه فهو السقف المُسطح والمُدعّم بخشب شجر العرعار. ويتميز هذا المسكن بحالة حفظ سيّئة كون بعض أجزائه قد تهدمت كالجدران والسقوف.

3-3-3 الوصف الداخلي:

يتم الدخول إلى المسكن عبر باب خشبي عرضه 1م يعلوه عقد نصف دائري الشكل وهو مفتوح مباشرة على سقيفة مستطيلة المسقط مساحتها 15.18م²، بها دعامتين خشبيتين من شجر العرعار يعلوهما سقف مسطح على ارتفاع 2.20م وتحمله عوارض خشبية من العرعار. بالنسبة للجدران فهي ذات سمك حوالي 64سم وقد استُعمل الملاط الطيني كمادة لاحمة بين حجارها لسدّ المسامات ثم تليها طبقة جيّرة لتبييض الغرفة.



مخطط رقم 04: مخطط المسكن

المصدر: الباحثة

فُتِحَ بالجدار الشّمالي للسقيفة باب عرضه 1.5م يؤدي مباشرة إلى فناء أو "حوش" غير مسقّف والذي يأخذ شكلا مستطيلا غير منتظم، يشغل مساحة قدرها 37.84م²،

تُقابله بالجنوب الشرقي للمسكن غرفة مستطيلة المسقط مساحتها 13.88 م² ويتم الدخول إليها عبر فتحة باب عرضه 1.02 م وارتفاعه 1.60 م يعلوه ساكف من خشب العرعار، توجد بها دعامتين حجريّتين يعلوهما سقف من خشب العرعار على ارتفاع 2.30 م، بالإضافة إلى كُوتّين بالجدار الأيسر أبعادهما (18 سم x 14 سم)، كما فُتحت بالجدار الشمالي أعلى الباب فتحتين مستطيلتي الشكل للتهوية والإضاءة. تليها مباشرة غرفة أخرى بالجنوب الغربي للمسكن التي يبدو أنها قد استغلت للنوم، يتم الدخول إليها من فتحة باب عرضه 80 سم وارتفاعه 1.53 م، تتوسطها دعامة خشبية من العرعار حاملها موجه نحو الشمال يعلوه سقف من خشب العرعار على ارتفاع 2.23 م. يقابل هذه الغرفة مطبخ يقع شمال المسكن ويأخذ شكلا مستطيلا مساحته 15.91 م²، إذ يتم الولوج إليه عبر باب عرضه 1.03 م وارتفاعه 1.83 م، نجد به دعامة حجرية بالجدار الشمالي فتحت بها كُوتّين أبعادهما (20 سم x 16 سم) لوضع لوازم المطبخ، وغُرست بالجدار الجنوبي حوامل من العرعار لحمل كل ما هو ثقيل (الحبوب، الدقيق..). نظراً لصلابتها، تكسو جدرانها طبقة مبيضة من الجبس التي أخذت اللون الأسود بسبب دخان الكانون المستغلّ للطبخ. نجد خارج غرفة المطبخ رواقا غير مسقفا على شكل حرف (L) يشغل مساحة قدرها 20.92 م² ويؤدي مباشرة إلى غرفة صغيرة تقع أقصى الجنوب الغربي للمسكن بحيث تمثل المخزن الذي يأخذ مساحة قدرها 6.3 م² وهو مهدّم السقف والجدار الجنوبي بحيث لا يحتوي على نوافذ، يتم الدخول إليه عبر باب عرضه 1.05 م. نجد على يسار المخزن بالجهة الغربية للمسكن جزءاً يفصل بين وحدات المسكن وبين الشارع المؤدّي للساحة العامة، مساحته 17.77 م² وهو غير مسقف حالياً على عكس ما كان عليه سابقاً، ويقع بمعزل عن باقي وحدات المسكن حفاظاً على الخصوصية حيث لعب دورين الأول كغرفة لاستقبال الضيوف لها مدخل خاص عرضه 80 سم، أما الدور الثاني كمكان لمبيت الماشية وتخبئة لوازم الفلاحة.

3-4 الشوارع والمداخل:

تتفرع بين منشآت القرية شوارع رئيسية يصل عرضها حتى 7 م ومسالك ثانوية نافذة وغير نافذة، ويتم الولوج إلى القرية عن طريق ثمانية مداخل مفتوحة وغير مبنية، خمسة منها رئيسية بها مدخل شمالي متصل بالشارع الرئيسي لحارة "يَطّوس وبوترعة"

مسلكه نحو المسجد كما يتصل بشوارع ثانوية وأزقة غير نافذة، بالإضافة إلى أربعة مداخل شرقية تؤدي منافذها إلى الساحة العامة حيث مدخلان منها (بالجهة الجنوبية الشرقية) يتصلان مباشرة بالطريق الولائي 08. بالنسبة للمداخل الثلاثة الباقية فهي ثانوية، اثنين منها يقعان شمال شرق القرية منفذيهما متصلان بحارة "غقاقلية" وبمسلك رئيسي يؤدي للساحة العامة، زيادة إلى مدخل بالشمال الغربي يؤدي إلى خزان المياه والمتصل بمنفذ ثانوي يؤدي بدوره إلى المسجد.

3-5- المقبرة

تقع المقبرة شمال قرية العامرة وتشغل مساحة قدرها حوالي 1.34 هكتار، حيث تشترك فيها كل القبائل المشكلة للقرية ما عدا قبيلة "السُّيَّاع"، الذين أنشأوا مؤخرا مقبرة خاصة بعشائهم، وهي تقع خارج القرية بالجهة الغربية على طريق تيزقرارين. تتوزع بمقبرة العامرة قبور ذات أحجام مختلفة، إضافة إلى ضريح المرابطين أحمد حمزاوي وأحمد بن غزلان.



صورة رقم 03: مقبرة قرية العامرة

المصدر: الباحثة

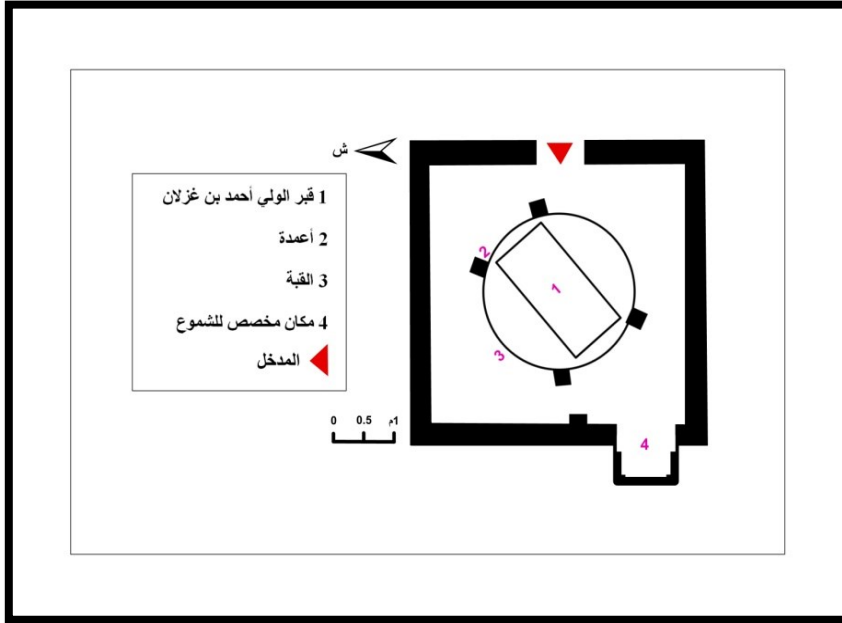
3-6- ضريح أحمد بن غزلان:

بما أن ضريح الولي الصالح أحمد حمزاوي قد تهدم ولم يبق منه سوى ارتفاع بسيط لجدرانته المشيدة بالحجارة، ارتأينا دراسة الضريح الثاني للولي الصالح أحمد بن

غزلان والذي يأخذ نفس أبعاد ضريح أحمد حمزاوي وهو في حالة حفظ جيّدة مقارنة بالضريح الأول ويرجع ذلك للتجديدات التي مسّته ومست بعض القبور أيضا.

3-6-1- الوصف الخارجي لضريح أحمد بن غزلان:

يقع ضريح الولي أحمد بن غزلان بمقبرة القرية، يأخذ شكلا مربعا تعلوه قبة نصف دائرية الشكل، حيث بُيِّضت جدران كل جوانبه مع قبته بالجير وفُتحت فتحتين بطرفي مدخله الواقع بالواجهة الشرقية.



مخطط رقم 05: مخطط ضريح أحمد بن غزلان

المصدر: الباحثة

3-6-2- الوصف الداخلي لضريح أحمد بن غزلان:

للضريح شكل مربع المسقط الذي طول ضلعه 4.1م، يتم الولوج إليه من الجدار الشرقي عبر باب عرضه 80 سم وارتفاعه 1.70م، كما فُتحت بطرفي المدخل فتحتين للإضاءة والتهوية أبعادهما (25سم x 20سم)، ويوجد بالجدار الغربي للضريح ركن خاص بالشموع عرضه حوالي 1م، ويتوسط الغرفة قبر الولي المغطى بعلم أخضر اللون، تعلوها قبة نصف دائرية الشكل تحملها أربعة أعمدة يتراوح سمكها بين 20-25سم.



لوحة رقم 05: ضريح أحمد بن غزلان وأحمد حمزاوي

المصدر: الباحثة

4-تحليل المعطيات:

4-1-العوامل المؤثرة في نشأة القرية وتطورها:

ارتبطت نشأة قرية العامرة بعوامل قد أسهمت في تشكيلها العمراني أهمها:

4-1-1-العامل الديني:

والذي يُعتبر من أهم العوامل المشكلة لها جانب العادات والتقاليد المتوارثة، والتي صاغها الإسلام بما يتفق ومبادئ الدين الحنيف، خاصة فيما يتعلق بتخطيطها العام وما اشتمل عليه من وحدات، مما جسّد أثر الدين الإسلامي وما أشارت إليه أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وكل كتب الفقه، بخصوص ما احتوت عليه مثل هذه القرى من حارات ودروب ومرافق عامة، سواء كانت دينية كالمسجد أم مدنيّة كالمنازل المتراصة فيما بينها، والحوانيت والأسواق وغيرها من المنشآت التي تلبي حاجيات أفرادها بمثل هذه المجتمعات.

4-1-2-العامل الاقتصادي:

والمتمثل في مصدر عيش وتطور القرية، والذي قد كان له دور مهم في تشكيلها

المعماري، وتعتبر العامرة مجال زراعي رعوي لانتشار البساتين والمدرجات الزراعية على ضفاف واد بجرّ مع تربية المواشي خاصة الماعز. وقد ظهر عند بربر الأوراس منذ العصر الوسيط، نشاطاً آخر غير الزراعة والرعي ألا وهو التجارة، مُجسدة في الأسواق العامرة بسلع وبضاعة مختلف المناطق (رحماني موسى، 2007: 18)، وتُعد قرية العامرة نقطة التقاء للطرق التجارية، بين شمال خنشلة وجنوبها، خاصة لوقوعها سابقاً على طريق قوافل البغال المتوجهة من الشمال، نحو خنقة سيدي ناجي جنوباً. فباتت مكاناً تتم فيه عملية التبادلات التجارية بساحتها العامة، وحسب السكان المحليين فقد اشتُقَّت كلمة "العامرة" من هذا النشاط، وأُخذت اسماً لهذه القرية.

4-3-1 العامل الاجتماعي:

تتميز القرية بنوع من التماسك الاجتماعي والترابط القبلي، فكل دشرة نجدها في فضاء معين من القرية، كما وتربط بين كل قبيلة قرابة. ويتحكم في تسيير شؤونها التنظيمية، كبار وشيوخ قرى عرش بني بربر (قرية الوندورة، سيار، الزاوية والعامرة)، الذين يجتمعون وراء كل سوق أسبوعي "بسقيفة لجماعة"، الواقعة بالمدخل الشمالي للساحة العامة، وهذا ما يُعرف بنظام التجمعات، الذي هو عبارة عن تنظيم سياسي اجتماعي بمحكمة عُرفية، متكونة من وُسطاء لأجل فك الخصومات والنزاعات القبلية (مباركي طارق وبن زروال جمعة، 2022: 171).

4-2 اختيار موقع القرية:

استقرت قبائل عرش بني بربر وازدهرت بقرية العامرة المتوضّعة على هضبة ارتفاعها ما بين 730 م و 740 م بالضفة اليمنى لواد بجرّ منذ زمن طويل أين جعلت منها مجالا رعويا زراعيا ارتبط به تكوين النسيج العمراني للقرية والذي جاء ملائماً لتخطيط المدينة الإسلامية، باختيار السكان المحليين لمُجمل شروط موقع عمرائها كالموضع الحصين بارتفاع هضبة (ابن خلدون عبد الرحمان، 1959: 402-403)، القرب من الماء لسهولة استغلاله خاصة في النشاط الزراعي (Gaudry mathéa, 1929: 146)، القرب من المراعي وأماكن الاحتطاب، بعدها يتم تخطيط المدينة بحُسن توجيه بُنيانها وتشديد جامع بوسطها مع سهولة الاستفادة من مرافقها العامة (عثامنة فؤاد وحنفي عائشة، 2022: 299-300)، وهذا ما توافقه وتوصلت إليه الأستاذة ريغي حدّة في دراستها

لانتباعات حول المدينة الإسلامية بإقليم الأوراس (ريغي حدّ، 2015: 80).

4-3- قراءة في تخطيط القرية:

يتميز الطّابع العمراني للقرية بالعضويّة، أي أنّها بنية مرتبطة بالوسط الطبيعي وكائناته الحيّة حسب فرانك لويد رايت (Frank Lloyd Wright)، والذي كان أول من استعمل هذا المصطلح (عرفان سامي، 1968: 13)، ومنه فقد لاحظنا جيّدا هذه الميزة بين معالم القرية نتيجة طبيعة المناخ التي انعكست بصورة واضحة على طرق وأساليب البناء بمواد محلية بسيطة تتناسب ومناخ المنطقة ما أدى إلى خلق تجانس بين الجزء الطبيعي والجزء المبني من حيث مواد البناء المستعملة وطبيعة لون هذا النتاج المعماري (أنظر صورة رقم 01).

يتوسط القرية المسجد العتيق الذي يُعتبر نواتها، وحسب معاينتنا الميدانية وجدنا أن الجزء الأصلي هو بيت الصلاة فقط لأن كل جزء من المسجد قد رُمّم واكتسى طابع الحداثة، أما بالنسبة لاسمه فقد ارتبط باسم القرية وأضيفت له كلمة "عتيق" كونه أول مُنشئة قد بنيت بقرية العامرة حسب ما يرويه أهل القرية. حيث أنه كان ولا يزال كفيلا بوظيفته الدينية.

بالنسبة للأضرحة فقد أقيمت بالمقبرة وبمعزل عن النسيج العمراني للقرية، وتميزت بشكلها المربع منها الغير مقبب الذي عموما ما يكون قد تهدّم، ومنها المُقبب كالضريح المُعتمد في دراستنا للولي الصالح "أحمد بن غزلان" أحد أجداد القرية والذي ينتهي بذروة نصف دائرية الشكل وهو نوع شائع بكل قرى جبل ششار.

أمّا مساكن القرية فقد جاءت بسيطة وملائمة لطبوغرافية المنطقة، تميزت بالتحامها مع بعضها ممّا جسّد في ذلك سورًا خارجيًا منيعا. بُنيت أساساتها من الحجارة، والجدير بالذكر أنّها تتميز بسقف مُسطح الذي اعتمد فيه المعماري الأوراسي على طريقة واحدة وهي المطبقة في تسقيف كل مسكن تقليدي بالقرية، حيث وُضعت عوارض خشبية من العرعار لحمل جسم السقف المكون من طبقة "الحصيرة" المتكونة من أغصان شجر العرعار ونباتي "الطّرفاية" و "الدّفلّ" المحليين، تليها طبقة من النباتات الجافة أهمها نبات الحلفاء، بعدها فُرِشت طبقة من التراب والتي يتراوح سمكها ما بين 20-45 سم، ثم آخر طبقة من الملاط الجيري التي يكون سمكها ما بين 5-10 سم لعزل

رشح مياه الأمطار. بالنسبة للجدران فيتراوح سمكها ما بين 54-65 سم وقد استعمل الملاط الطيني كمادة لاحمة بين الحجارة لسد المسامات تفاديا للزواحف والحشرات الضارة، وكما مادة عازلة للحرارة والبرد.

تميزت كل هذه المساكن بوجود الحوش (الفناء) الذي يمثل الفضاء الخاص بالحركة اليومية لسكان المنزل، وهو عموما ما يكون غير مُسَقَّف وتكون مقاساته حسب حجم المسكن، تحيط به الغرف كونه يلعب دوري التهوية والإضاءة. أحيانا يطلق عليه سكان القرية اسم "تاسماشت" بحيث غالبا ما يستعملونه للتجفيف، النسيج، الطبخ والنوم صيفا، كما يُخصَّص جزء منه من أجل إيواء الماشية ليلا.

تجدر الإشارة أن أهم عنصر من المعالم المكونة للقرية هو الساحة العامة، حسب السكان المحليين فوظيفتها بالقرية هي الجانب التجاري بالدرجة الأولى، أين تتم عمليتي العرض والطلب للسلع والبضائع، سواء محلية كانت أم مجلوبة من أماكن أخرى، حيث كان يأتيها التجار والجرفيين كل أسبوع من شتى القرى، مُحمّلين حيواناتهم بالبضاعة الموجب عليهم عرضها كالسلال، البرادع (أنظر التعليق رقم 05)، جرار الفخار لتخزين السمن والعسل... لجلب أكبر عدد من الزبائن.

تتفرع بداخل القرية عديد الشوارع والمسالك منها الرئيسية وهي لإعامة الناس، والثانوية التي هي ملك لسكان القرية فقط، ثم الأزقة والدروب الخاصة فقط بالقاطنين عليها والتي عموما ما تكون غير نافذة. تميزت شبكة هذه الطرق والمسالك بالتواءات وانخفاض وارتفاع تلاؤما مع طبوغرافية المنطقة.

- خاتمة:

تعتبر قرية العامرة بولاية خنشلة، من أهم القرى الريفية التي تنقل لنا أبرز ما تميزت به قبائل الأوراس الشرقي، خاصة من ناحية توزيع المعالم المكونة لنسيجها العمراني. ومن خلال هذه الدراسة نخلص إلى النتائج التالية:

- تحتل قرية العامرة موقعا استراتيجيا ذو حصانة طبيعية، التي قدمت له مع طبوغرافيتها، وتكوينها الجيولوجي دورا فعّالا في التأثير على النسيج العمراني، ما خلق تجانسا بين الجزء الطبيعي والجزء المبني، من حيث مواد البناء المستعملة ولون هذا التاج المعماري.

-يُميز الطابع العمراني للقرية مساكنها، المكوّنة من طابق واحد ذو سقف مُسطّح، بالإضافة إلى تشابهها في التنظيم المساحي الداخلي لوحداث المسكن، حيث يُعتبر المسكن بقرية العامرة مكانا لاستقرار الإنسان، الحيوان والمؤونة في آن واحد.

-يُعتبر المسجد العتيق لقرية العامرة من أهم المعالم المكونة لها، لما يشغله من دور أساسي في حياة أفرادها، ففضلاً عن وظيفته الدينية كان مؤطراً للقرية، ومركزاً لبحث الشؤون الدينية والتربوية.

-ارتبطت نشأة القرية بالعوامل الدينية، الاجتماعية والاقتصادية، وقد جاء تكوين النسيج العمراني للقرية، ملائماً لتخطيط المدينة الإسلامية، باختيار سكان القرية لمُجمل شروط موقع عمرائها.

-قرب القرية من واد بجر، الأمر الذي ساعد على استقرار قبائلها لحتمية هذا العنصر، فلا حضارة بدون ماء.

-التعليقات:

-التعليق رقم 01:

SAS Planet : est un programme conçu pour visualiser et télécharger des images satellite haute résolution.

-التعليق 02: الجيتول هم قبائل ساهموا في بناء المنظومة القبلية للأوراس، وهم رعاة رُحُل وثالث الشعوب التي عمّرت الشمال الإفريقي قديما بعد النوميد والمور، وقد تواجدوا في الجزائر وتونس والمغرب بنفس الفترة.

-التعليق 03: الشّابّية هي عائلة مرابطيّة تونسية، تتبع طريقة طقوس الأخوية الناصرية، والتي لا تربطهما أية علاقة.

-التعليق 04: الطّوب اللّين هو الطوب الطيني المُجفف بأشعة الشمس، والذي يُشكّل في قالب مربع كان أم مستطيل، من أجل البناء به. حيث سكان قرية العامرة قد قاموا بخلط التبن معه لجعله أكثر صلابة.

-التعليق 05: جمع البرْدَع: وهو سرّج الخيل الذي يُصنع من جلود المواشي وقطع أقمشة.

-قائمة المصادر والمراجع:

- 1- ابن خلدون عبد الرحمان، (1959). كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ط 2، الجزء 7. بيروت-لبنان: دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر.
- 2- الرواية الشفوية للسيد جابر عماد إمام مسجد قرية العامرة والبالغ من العمر 42 سنة، نقلاً عن الشيخ "فرسي عبد الناصر" يوم 06 جانفي 2023.
- 3- حجاري درية، (2017). العمارة التقليدية الريفية بالأوراس "القنطرة-غوفي-منعة نموذجاً". رسالة دكتوراه غير منشورة لنيل شهادة الدكتوراه "علوم" في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، الجزائر.
- 4- حملاوي علي، (2006). نماذج من قصور منطقة الأغواط "دراسة تاريخية وأثرية"، الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية.
- 5- ريغي حدة، (2015). «انطباعات حول المدينة الإسلامية بإقليم الأوراس في ضوء النصوص الجغرافية». مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، مركز الحكمة للبحوث والدراسات، الجزائر، المجلد 03، العدد 05، ص ص 74-82.
- 6- زوزو عبد الحميد، (2005). الأوراس إبان الاستعمار الفرنسي (التطورات السياسية الاقتصادية والاجتماعية من 1837 إلى 1939)، ترجمة مسعود (حاج مسعود)، الجزائر: دار هومة للطباعة والنشر.
- 7- عثمانة فؤاد. حنفي عائشة، (2022). «القوانين والأصول المنظمة للعمران والعمارة الريفية». مجلة الدراسات الأثرية، جامعة الجزائر 2، المجلد 20، العدد 01، ص ص 297-308.
- 8- عرفان سامي، (1968). نظريات العمارة العضوية، القاهرة: مؤسسة طباعة الألوان المتحدة.
- 9- قاسمي بختاوي، (2015). «الهجرة الهلالية إلى الصحراء الإفريقية (الأسباب والانعكاسات)». مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، جامعة بشار، المجلد 1، العدد 1، ص ص 53-63.
- 10- Colonel De Lartigue, (1904). Monographie de l'Aurès, Constantine : Imprimerie à vapeur MARLE-AUDRINO.
- 11- Depont Octave et Coppolani Xavier, (1897). Les conférences religieuses musulmanes, Alger : Imprimeur- libraire-éditeur.



- 12- Gaudry Mathéa Gaudry, (1929). La femme Chaouia de l'Aurès « Etude de sociologie berbère », Paris : Librairie orientaliste PAUL GEUTHNER.
- 13- Gsell Stéphane, (1927). Histoire ancienne de l'Afrique du nord, Tome V, Paris : Librairie Hachette.
- 14- Masqueray Emile, (1878). « Le Djebel Chechar » In : Revue Africaine. Alger : A. Jourdan, Libraire-Éditeur, Tome XXII.
- 15- Morizot Pierre, (1997). Archéologie aérienne de l'Aurès, Paris.
- 16- Morizot pierre, (1990). « Deuxième campagne de Solomon » In : Encyclopédie berbère. France : édisud, Tome VIII Aurès-Azrou.
- 17- Morizot Pierre, (1988). « La Zaouia des Beni Barbar cité pérégrine ou municipe latin ? » In : Bulletin Archéologique du comité des travaux historiques et scientifiques, Paris : Éditions du C. T. H. S.